مَجْمُوعُ الْخُطَبِ الْمِنْبَرِيَّةِ (١)

بل الله فاعبد

تأليف فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله

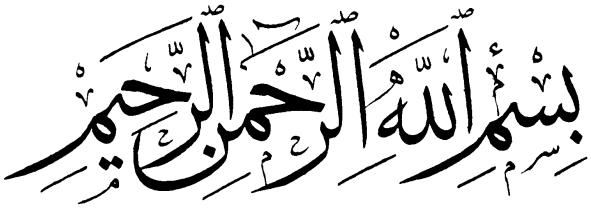
بسم الله الرحمن الرحيم

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

التَّوْحِيدُ هُوَ الْفِطْرَةُ

فَإِنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ، وَهَيَّأَ لَهُمْ مِنْ رِزْقِهِ مَا يُعِينُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦- ٥٨].

وَقَدْ فَطَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ النَّاسَ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَلَوْ خُلِّيَ بَيْنَ الْفِطْرَةِ وَالدِّينِ؛ مَا عَبَدَتْ سِوَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- عَنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْمَتِينِ، فَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: مَائِلًا عَنِ الشِّرْكِ، مُسْتَقِيمًا عَلَىٰ الْهُدَىٰ وَالتَّوْحِيدِ وَالْحَقِّ، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١): «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ..**».

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كِتَابُ الجَنَائِزِ: بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ...، (١٣٥٨ و ١٣٥٩)، ومسلم في «**الصحيح**»: كتاب الْقَدَرِ: بَابُ مَعْنَىٰ كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ...، (٢٦٥٨)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.
وفي رواية لمسلم: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَهُوَ عَلَىٰ الْمِلَّةِ**»، وله: «**إِلَّا عَلَىٰ هَذِهِ الْمِلَّةِ،**
=

وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ[١] مِنْ رِوَايَةِ: عِيَاضٍ -هُوَ ابْنُ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيُّ- قَالَ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ: «**إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ**[٢]».

وَكَانَ النَّاسُ عَلَىٰ ذَلِكَ، لَا يَشِذُّونَ عَنْهُ، وَلَا عَنْ صِرَاطِهِ يَحِيدُونَ حَتَّىٰ دَخَلَ الشِّرْكُ عَلَىٰ الْبَشَرِيَّةِ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؛ بَدْءًا مِنَ الْغُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْخَلْقَ مِنْ بَعْدِ آدَمَ -إِلَىٰ أَنْ أَرْسَلَ نُوحًا عليه السلام- عَلَىٰ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ، رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، يُبَشِّرُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ وَحَّدَ اللهَ وَعَبَدَهُ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ لِوَجْهِهِ، وَيُنْذِرُونَ بِالنَّارِ مَنْ حَادَ عَنْ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، وَلَمْ يَتْبَعْ دِينَ الْمُرْسَلِينَ.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، فَاخْتَلَفُوا، كَانُوا عَلَىٰ الْحَقِّ وَالْهُدَىٰ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ، فَعَبَدُوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، وَأَشْرَكُوا بِهِ سِوَاهُ، فَأَرْسَلَ اللهُ جَلَّوَعَلَا الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

=

حَتَّىٰ يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ»، وله أيضا: «**لَيْسَ مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَىٰ هَذِهِ الْفِطْرَةِ، حَتَّىٰ يُعَبِّرَ عَنْهُ لِسَانُهُ**».

(١) أخرجه مسلم: كتاب الْجَنَّةِ: بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، (٢٨٦٥).

(٢) «**فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ**»؛ أي: استخفتهم، فجالوا معها، والِاجْتِيَالُ، هُوَ: الذَّهَابُ بِالشَّيْءِ وَسَوْقُهُ، وَإِزَالَتُهُ عَنْ مَكَانِهِ، وَتَحْوِيلُهُ عَنْ قَصْدِهِ.

وَالْأَصْلُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ خُلِّيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فِطْرَتِهِ؛ مَا حَادَتْ عَنِ الْهُدَىٰ، وَمَا صَرَفَتْ شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ لِأَنَّ اللهَ جَعَلَ التَّوْحِيدَ مَرْكُوزًا فِي الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَإِنَّمَا يَأْتِيهَا مَا يَأْتِيهَا مِنْ جَرَّاءِ فِعْلِ وَقَوْلِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

فَأَنْزَلَ اللهُ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ إِلَّا لِصَرْفِ الْعِبَادَةِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ هُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ، جَاءَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ دِينُ التَّوْحِيدِ.

وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ دِينُ التَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّ مَبْنَاهُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ جَلَّوَعَلَا فِي الْمُلْكِ، وَالْخَلْقِ، وَالْإِحْيَاءِ، وَالْإِمَاتَةِ، وَالتَّدْبِيرِ، لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَعَلَىٰ التَّفَرُّدِ بِالْكَمَالِ وَالْجَلَالِ؛ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ الْمُثْلَىٰ، لَا نَظِيرَ لَهُ، وَعَلَىٰ إِفْرَادِهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بِالْعِبَادَةِ لَا نِدَّ لَهُ.

بِهَذَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَاءَ بِهِ النَّبِيُّونَ وَالْمُرْسَلُونَ مِنْ قَبْلِهِ.

❀❀❀

الْإِخْلَاصُ وَالْمُتَابَعَةُ

هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ -دِينُ الْإِسْلَامِ الْكَرِيمِ- لَهُ رُكْنَانِ عَظِيمَانِ، مَنْ لَمْ يُحَصِّلْهُمَا؛ فَمَا حَصَّلَ الدِّينَ، وَلَا عَرَفَ الْمِلَّةَ: لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يُتَابِعُ أَحَدًا سِوَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَهُوَ إِفْرَادٌ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالْعِبَادَةِ، وَتَوْحِيدٌ لَهُ فِي ذَلِكَ.

وَهُوَ تَوْحِيدُ الْمُتَابَعَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

وَأَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ: أَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَنْ يَعْبُدَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا.

وَهَذَا التَّوْحِيدُ الَّذِي هُوَ إِفْرَادُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِأَفْعَالِهِ؛ بِالْمُلْكِ، وَالْخَلْقِ، وَالتَّدْبِيرِ، وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، وَهُوَ مَا يُقَالُ لَهُ «تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ».

وَإِفْرَادُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتِ الْمُثْلَىٰ، بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، وَهُوَ «تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ».

وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِأَفْعَالِ الْعَبْدِ؛ عِبَادَةً للهِ، وَتَقَرُّبًا وَتَزَلُّفًا لَدَيْهِ، وَهُوَ «تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ»، يَجْمَعُهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَمَبْنَىٰ التَّوْحِيدِ عَلَىٰ رُكْنَيْنِ لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ الْعَبْدُ بِهِمَا؛ وَإِلَّا فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مُوَحِّدًا، لَا بُدَّ مِنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَكْفُرَ بِكُلِّ مَعْبُودٍ دُونَ اللهِ، وَهُوَ نَفْيٌ لِلشِّرْكِ جُمْلَةً، وَهَذَا مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

وَكُلُّ مَعْبُودٍ دُونَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَإِنَّمَا هُوَ مَعْبُودٌ بِبَاطِلٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ أَصْلًا، وَإِنَّمَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ مَنْ لَهُ كَمَالُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَكَمَالُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ، وَقَدَّرَ فَهَدَىٰ، وَالَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ، وَالَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ وَالْجَلَالِ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتُ الْعُلَىٰ، الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْعَدَمِ، وَالَّذِي يُمِيتُ مَتَىٰ شَاءَ، وَالَّذِي يَرْزُقُ وَحْدَهُ، تَفَرَّدَ بِالرِّزْقِ، لَا رَازِقَ مَعَهُ، وَالَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيَرْفَعُ وَيَضَعُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ هُوَ الرَّبُّ الْكَامِلُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، الْكَامِلُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ صَرْفِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: النَّفْيُ نَفْيٌ لِلشِّرْكِ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَإِثْبَاتُ الْعِبَادَةِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا بَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ تَوْحِيدٌ إِلَّا مَعَ الْكُفْرِ بِكُلِّ مَعْبُودٍ

سِوَىٰ اللهِ، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَأَمَّا شَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَمَبْنَاهَا -أَيْضًا- عَلَىٰ رُكْنَيْنِ: عَلَىٰ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، أَنَّهُ لَا تُقَدَّمُ مُتَابَعَةٌ لِأَحَدٍ قَبْلَ مُتَابَعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: إِثْبَاتُ الْعِبَادَةِ للهِ مَعَ نَفْيِ الشِّرْكِ، «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»: إِثْبَاتُ الْمُتَابَعَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَعَ نَفْيِ الْبِدْعَةِ.

❀❀❀

اللهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّزَّاقُ

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ دَلَّنَا عَلَىٰ وُجُودِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَظِيمُ، وَالرَّزَّاقُ الْكَرِيمُ، وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(١) بِسَنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، لَمَّا أَوْفَدَتْهُ قُرَيْشٌ لِيُكَلِّمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي أُسَارَىٰ بَدْرٍ.

فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَوَافَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ بِأَصْحَابِهِ، يَقْرَأُ سُورَةَ الطُّورِ، قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، وَقَالَ رضي الله عنه: فَسَمِعْتُ قَوْلَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥-٣٦]، قَالَ: فَكَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ».

لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ دَلَّلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ عَلَىٰ أَنَّهُ وَحْدَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ؛ فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَذَلِكَ حِينَ دَخَلَ الْإِسْلَامُ قَلْبِي»، لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي: باب ١٢، (٤٠٢٣)، وكتاب التفسير: سورة الطور، (٤٨٥٤)، ومسلم: كتاب الصلاة: باب القراءة في المغرب، (٤٦٣).

وفي رواية للبخاري: «...، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي»، ولأحمد (٤/ ٨٣): «...، فكأنما صدع قلبي حين سمعت القرآن».

لِأَنَّ الْقِسْمَةَ الْعَقْلِيَّةَ فِيهَا مُنْضَبِطَةٌ، تَدُورُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ احْتِمَالَاتٍ:

* **فَأَمَّا الِاحْتِمَالُ الْأَوَّلُ: فَهُوَ أَنَّهُمْ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ:** وَهَذَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ؛ لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَ الْوُجُودَ لَا لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ؛ فَإِنَّ فَاقِدَ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ؛ فَكَيْفَ يُعْطِي الْمَعْدُومُ وُجُودًا؟!!

* ﴿ **أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ** ﴾: أَنْ تَكُونَ الْمُصَادَفَةُ قَدْ خَلَقَتْهُمْ، خُلِقُوا هَكَذَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ.

فَهَذَانِ احْتِمَالَانِ مَنْفِيَّانِ، وَمَعْلُومٌ فِي الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ -وَهُوَ فِيهَا مَرْكُوزٌ- أَنَّهُ لَا أَثَرَ مِنْ غَيْرِ مُؤَثِّرٍ، وَأَنَّ كُلَّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ، هَذَا مَرْكُوزٌ فِي الْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ، مَطْبُوعٌ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

حَتَّىٰ الصِّبْيَانُ يُقِرُّونَ بِذَلِكَ وَيُقَرِّرُونَهُ؛ فَإِنَّ الصَّبِيَّ لَوْ ضَرَبَهُ ضَارِبٌ خَفِيَ عَلَيْهِ ضَرْبُهُ، وَلَمْ يَرَ ضَارِبَهُ؛ يَتَسَاءَلُ: مَنْ ضَرَبَنِي؟!!

فَإِذَا قِيلَ لَهُ: لَمْ يَضْرِبْكَ أَحَدٌ؛ اسْتَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ضَرْبٌ مِنْ غَيْرِ ضَارِبٍ، اسْتَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ حَادِثٌ مِنْ غَيْرِ مُحْدِثٍ، اسْتَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ فِعْلٌ مِنْ غَيْرِ فَاعِلٍ.

فَإِذَا قِيلَ لَهُ: ضَرَبَكَ فُلَانٌ؛ لَمْ يَهْدَأْ حَتَّىٰ يُقْتَصَّ لَهُ مِنْهُ.

فَفِي الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَنَّهُ لَا حَادِثَ إِلَّا وَلَهُ مُحْدِثٌ، فَهَذَا الْكَوْنُ بِمَا فِيهِ، وَهَذَا الْإِنْسَانُ بِكُلِّ مَا فِيهِ.. أَوُجِدَ هَكَذَا مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ؟! ﴿ **أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ** ﴾؟!! وَهَذَا مُنْتَفٍ وَذَاكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ؛ فَكُلُّ مُحْدَثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ، وَكُلُّ فِعْلٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ فَاعِلٍ.

﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾: هَلْ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ؟!!

وَهَذَا -أَيْضًا- لَا يَسْتَقِيمُ فِي الْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ؛ لِأَنَّ فَاقِدَ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ، وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعْدُومِينَ لَا وُجُودَ لَهُمْ، ثُمَّ يُعْطِي الْمَعْدُومُ الْوُجُودَ الَّذِي لَا يَمْلِكُهُ لِنَفْسِهِ أَوْ لِغَيْرِهِ؟!!

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؟!!

فَصَعَّدَ الْمَسْأَلَةَ، إِذَا كَانُوا لَمْ يَخْلُقُوا أَنْفُسَهُمْ؛ أَفَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُنَّ؟!! مَا خَلَقَ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ الْخَلَّاقُ الْعَظِيمُ، قَالَ: «فَكَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ».

إِنَّ إِصْلَاحَ الْعَقِيدَةِ هُوَ وَظِيفَةُ الْمُرْسَلِينَ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ -فِي التَّشْرِيعِ وَمَا حَوْلَهُ- إِنَّمَا يَعُودُ فِي النِّهَايَةِ إِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ حَتَّىٰ يَصِيرَ الْمَرْءُ عَابِدًا لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، حَالًا وَفِعَالًا، نُطْقًا وَقَوْلًا؛ حَتَّىٰ يَصِيرَ عَابِدًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيمَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ مَا دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ شَيْءٍ قَبْلَ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ؛ إِذْ هِيَ أُمُّ الْقَضَايَا كُلِّهَا، إِذْ هِيَ الْمِحْوَرُ الَّذِي يَدُورُ حَوْلَهُ كُلُّ هَذَا الْخَلْقِ؛ لِأَنَّ اللهَ خَلَقَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْبُدَهُ خَلْقُهُ.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَا أَنْزَلَ الْكُتُبَ وَلَا أَرْسَلَ الرُّسُلَ إِلَّا لِعِبَادَتِهِ ﷻ، يُعَلِّمُونَ الْخَلْقَ كَيْفَ يَعْبُدُونَ الرَّبَّ جَلَّ وَعَلَا؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يَسْتَقِلُّ بِذَلِكَ.

فَالْعَقْلُ يُنْكِرُ مَا يُنْكِرُهُ، وَتَأْتِي الْمُسَلَّمَاتُ قَاضِيَةً بِأَنَّ هَذَا الْكَوْنَ لَهُ خَالِقٌ، وَهَذَا الْخَالِقُ يَقْضِي الْعَقْلُ بِأَنَّ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ مَا يُثْبِتُهُ الْعَقْلُ اسْتِقْلَالًا؛ وَلَكِنَّ الْعَقْلَ لَا يَعْلَمُ الْحِكْمَةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَ الْخَالِقُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا يَفْعَلُ شَيْئًا عَبَثًا، وَلَا يَتْرُكُ مَخْلُوقًا سُدًى، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِحِكْمَةٍ.

فَالْعَقْلُ يَقْضِي أَنَّ هَذَا الْكَوْنَ وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ لِحِكْمَةٍ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَهَا، فَكَانَ حَتْمًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ الْكُتُبَ، وَأَنْ يُرْسِلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الرُّسُلَ؛ وَلَكِنَّهُمْ فِي الْمُنْتَهَى بَشَرٌ -كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ-؛ لِحِمَايَةِ جَنَابِ التَّوْحِيدِ، وَحَتَّى لَا يُخْتَرَقَ سِيَاجُهُ، وَحَتَّى لَا يُخْدَشَ سَوَادُ حَدَقَةِ عَيْنِهِ بِشَيْءٍ؛ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا.

فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ -كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ[1] مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه، قَالَ: «قَدِمْتُ مَعَ وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ فِي عَامِ الْوُفُودِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا».

قَالَ: «**السَّيِّدُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

---

(١) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: كتاب الأدب: بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ التَّمَادُحِ، (٤٨٠٦)، وأحمد في «**المسند**»: (٣/ ٢٤٩).

والحديث صححه الألباني في «**صحيح سنن أبي داود**»: (٣/ ١٨١، رقم ٤٨٠٦)، وفي هامش «**مشكاة المصابيح**»: (٣/ ١٣٧٣، رقم ٤٩٠٠).

قَالَ: قُلْنَا: «وَأَفْضَلْنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمْنَا طَوْلًا».

قَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»(١): عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**».

شَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ لَهَا رُكْنَانِ: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ.

وَهُمَا يَنْفِيَانِ الْإِفْرَاطَ وَالتَّفْرِيطَ، يَنْفِيَانِ الْغُلُوَّ وَالْجَفَاءَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ؛ فَلَا يُغَالَىٰ فِي النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا يُنَزَّلُ فَوْقَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِيَّاهَا، لَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَلَا يُشْرَكُ بِهِ مَعَ اللهِ، وَلَا يُقْسَمُ بِهِ، وَلَا يُسْتَغَاثُ بِهِ ﷺ، «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ**»، وَلَا يُجْفَىٰ عَنْ مَقَامِهِ، وَلَا يُفَرَّطُ فِي حَقِّهِ ﷺ، فَلَا إِفْرَاطَ وَلَا تَفْرِيطَ، وَلَا غُلُوَّ وَلَا جَفَاءَ، عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَيَّزَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنْ هَذَا

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كتاب أحاديث الأنبياء: بَابُ قَوْلِ اللهِ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ..، (٣٤٤٥)، من حديث: من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه، يَقُولُ عَلَىٰ المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**لَا تُطْرُونِي**...» الحديث.

قَوْله: «**لَا تطروني**» الإطراء: مُجَاوزَة الْحَد فِي الْمَدْح وَالْكذب فِيهِ، وَذَلِكَ أَن النَّصَارَىٰ أفرطوا فِي مدح عِيسَىٰ وإطرائه بِالْبَاطِلِ، وجعلوه ولدا، فَمَنعهُمْ النَّبِي ﷺ من أَن يطروه بِالْبَاطِلِ، وقوله: «**فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ**»، أَيْ: لَسْتُ إِلَّا عَبْدًا، فَلَا تَعْتَقِدُوا فِيَّ شَيْئًا يُنَافِي الْعُبُودِيَّةَ، وقوله: «**فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، أي: لِأَنِّي مَوْصُوفٌ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالرِّسَالَةِ، فَلَا تَقُولُوا فِيَّ شَيْئًا يُنَافِيهِمَا مِنْ نُعُوتِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ.

الْخَلْقِ بِالرِّسَالَةِ، وَجَعَلَ لَهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ نُنَزِّلَهُ مَنْزِلَتَهُ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- إِيَّاهَا.

نُصَدِّقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَنُطِيعُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَنَكُفُّ عَمَّا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَلَا نَعْبُدُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

فَهَذَا مَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

«**وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»، «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»؛ فَحَمَىٰ جَنَابَ التَّوْحِيدِ ﷺ، وَنَهَىٰ النَّاسَ عَنِ الْغُلُوِّ فِيهِ، قَالَ: «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**ﷺ».

❀❀❀

التَّوْحِيدُ أَسَاسُ دَعْوَةِ الْمُرْسَلِينَ

هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ مَبْنَاهُ عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ الْأَصِيلِ الَّذِي أَرْسَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ أَجْمَعِينَ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْعَامُّ: أَلَّا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

التَّوْحِيدُ: هُوَ جَعْلُكَ الشَّيْءَ وَاحِدًا، وَأَمَّا فِي حَقِّ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَهُوَ تَفْعِيلٌ مِنَ النِّسْبَةِ، لَا بِجَعْلِ جَاعِلٍ؛ لِأَنَّ الْوَحْدَانِيَّةَ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ، الْوَحْدَانِيَّةُ مِنْ صِفَاتِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، فَهِيَ ثَابِتَةٌ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا بِجَعْلِ جَاعِلٍ.

فَالتَّوْحِيدُ نِسْبَةٌ مُفَعَّلَةٌ كَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، أَيْ: هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ الْعَظِيمَةِ، وَهِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ.

فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، وَلَا يَصِحُّ لِلْإِنْسَانِ تَوْحِيدٌ حَتَّىٰ يَكْفُرَ بِكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَبِذَا أَرْسَلَ اللهُ الْمُرْسَلِينَ أَجْمَعِينَ، لَمْ يَبْدَءُوا أَقْوَامَهُمْ بِشَيْءٍ قَبْلَ هَذَا، هَذِهِ أُمُّ الْقَضَايَا، هَذِهِ أَصْلُ الْأُصُولِ: أَلَّا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ.

جَمِيعُهُمْ قَالُوا لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٩]، قَالَهَا نُوحٌ، وَقَالَهَا هُودٌ، وَقَالَهَا شُعَيْبٌ، وَقَالَهَا صَالِحٌ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنَّاسِ إِذْ يَدُورُ عَلَيْهِمْ فِي مَحَافِلِهِمْ: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ تُفْلِحُوا**»(١).

لَا بُدَّ مِنْ صَرْفِ الْعِبَادَةِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، وَالْعِبَادَةُ مُنْتَظِمَةٌ لِكُلِّ حَرَكَةِ الْحَيَاةِ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «**السيرة**»: (اختصار ابن هشام: ١/ ٤٢٢)، وأحمد في «**المسند**»: (٤/ ٦٣ و٣٤١)، والحارث ابن أبي أسامة «**المسند**»: (زوائد الهيثمي: ٢/ ٦٦٣ و ٦٩٢)، وابن أبي عاصم في «**الآحاد والمثاني**»: (٢/ ٢٠٧ - ٢٠٩)، والطبري في «**تاريخ الرسل والملوك**»: (٢/ ٣٤٨)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٥/ ٦١ - ٦٣)، والحاكم في «**المستدرك**»: (١/ ١٥)، وأبو نعيم في «**معرفة الصحابة**»: (٢/ ١٠٩١)، والبيهقي في «**دلائل النبوة**»: (٢/ ١٨٥)، من طرق: عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ رضي الله عنه.
وفي رواية: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِذِي الْمَجَازِ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، وفي أخرىٰ: كان ﷺ يَتْبَعُ الْقَبَائِلَ فَيَقِفُ عَلَىٰ الْقَبِيلَةِ فَيَقُولُ: «**يَا بَنِي فُلَانٍ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ، آمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تُصَدِّقُونِي وَتَمْنَعُونِي حَتَّىٰ أُنْفِذَ عَنِ اللهِ مَا بَعَثَنِي**».
وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وجود إسناده الألباني في هامش «**صحيح السنة النبوية**»: (ص ١٤٢)، وقال: «وله شاهد من حديث طَارِق بن عبد الله الْمُحَارِبِيِّ»، وصححه الوادعي في «**الجامع الصحيح**»: (١/ ٥٨، رقم ٥٨).

وَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ هُوَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَهِيَ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ، هِيَ الْمَائِلَةُ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَالزَّيْغِ وَالضَّلَالِ، وَبِذَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ ﷺ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَوْظِيفِ الطَّاقَاتِ، وَتَفْعِيلِ الْإِمْكَانَاتِ؛ لِكَيْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَالرَّسُولُ ﷺ دَعَا إِلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ أَوَّلَ مَا دَعَا، وَبَقِيَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا فِي مَكَّةَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الزَّكَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالْحَجُّ، وَمَا أَشْبَهَ؛ بَلْ تَأَخَّرَتِ الصَّلَاةُ إِلَىٰ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ، إِلَىٰ الْمِعْرَاجِ، عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ، ثُمَّ فَرَضَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يُصَلُّونَ صَلَاتَيْنِ: رَكْعَتَيْنِ بِالْغَدَاةِ، وَرَكْعَتَيْنِ بِالْعَشِيِّ عَشْرَ سَنَوَاتٍ كَامِلَةٍ، وَلَا أَذَانَ فِي مَكَّةَ، وَلَا جَمَاعَةَ فِيهَا، وَلَا قِتَالَ فِيهَا؛ بَلْ هُوَ مَأْمُورٌ بِكَفِّ الْأَيْدِي.

يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، بِأَنْ يُخْلِصُوا الْقُلُوبَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يُخْلِصُوا الْعِبَادَةَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يَنْخَلِعُوا مِنَ الْمَوْرُوثَاتِ، وَأَنْ يَتْرُكُوا جَمِيعَ الْمَعْبُودَاتِ، وَأَلَّا يُقَلِّدُوا الْآبَاءَ وَالْأَجْدَادَ، بَلْ يَتَّبِعُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ.

وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ التَّوْحِيدَ فِي السِّلْمِ وَالْحَرْبِ عَلَىٰ السَّوَاءِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ -وَهُوَ حَالٌّ قَارٌّ- تَوْحِيدَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَيُبَصِّرُهُمْ بِحَقِيقَةِ الدِّينِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ.

وَفِي الْحَرْبِ كَذَلِكَ، مَا أَعْفَىٰ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَخْطَأَ وَهُمْ فِي الْمَسِيرِ إِلَىٰ اللِّقَاءِ إِلَىٰ حُنَيْنٍ -كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه-، «أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَىٰ حُنَيْنٍ وَهُمْ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، فَمَرُّوا بِشَجَرَةٍ عَلَىٰ سِدْرَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ».

وَذَاتُ الْأَنْوَاطِ: سِدْرَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ لِلْقَوْمِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَانُوا يَذْهَبُونَ إِلَيْهَا، يَنُوطُونَ -أَيْ: يُعَلِّقُونَ- بِفُرُوعِهَا أَسْيَافَهُمْ، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا، يُقَدِّسُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

فَقَالَ قَائِلُهُمْ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»، فَلَمْ يُعْفِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا حُدَثَاءَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَأَنَّهُمْ فِي الْمَسِيرِ إِلَىٰ لِقَاءِ هَوَازِنَ بِحُنَيْنٍ.. لَمْ يُعْفِهِمْ ذَلِكَ مِنْ تَصْحِيحِ هَذَا الْأَمْرِ عِنْدَهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ! قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ!!**»(١).

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ فِي الْحَرْبِ كَمَا يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ فِي السِّلْمِ، يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ وَهُوَ قَارٌّ عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَيُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ وَهُوَ عَلَىٰ ظَهْرِ الدَّابَّةِ؛

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: كتاب الْفِتَن: بَابُ مَا جَاءَ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، (٢١٨٠) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي هَامِشِ «**مِشْكَاة المصابيح**»: (٣/ ١٤٨٩، رَقْمَ ٥٤٠٨).

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ!**».

قُلْتُ: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ رَسُولَ اللهِ».

قَالَ: «**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟**».

قُلْتُ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ: «**حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**».

يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ وَهُوَ عَلَىٰ ظَهْرِ الدَّابَّةِ، كَمَا يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، كَمَا يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ وَهُوَ فِي السُّوقِ، وَيُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ وَهُوَ فِي الْحَرْبِ، ﷺ؛ بَلْ وَهُوَ يَمُوتُ ﷺ.

يَبْدَأُ الدَّعْوَةَ بِالتَّوْحِيدِ، وَيَخْتِمُ الدَّعْوَةَ بِالتَّوْحِيدِ فِي عُمُرِهِ السَّعِيدِ ﷺ؛ فَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ كَانَ عَلَىٰ وَجْهِهِ قَطِيفَةٌ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا -أَيْ: ضَاقَ نَفَسُهُ-؛ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، وقَالَ: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**».

تَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد: بَابُ اسْمِ الفَرَسِ وَالحِمَارِ، (٢٨٥٦)، ومسلم: كتاب الإيمان: بَابُ مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ..، (٣٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز: باب ما يكره من اتخاذ المساجد..، (١٣٣٠)، ومسلم: كتاب المساجد: باب النهي عن بناء المساجد..، (٥٢٩).

حَتَّىٰ وَهُوَ يَمُوتُ ﷺ يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ!!

لَا يُعْفَىٰ أَحَدٌ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا إِصْلَاحَ إِلَّا بِهِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْمُجْتَمَعِ إِلَّا بِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا كَانَ يُرْسِلُ الْمُعَلِّمِينَ وَالْقُضَاةَ؛ يَأْمُرُهُمْ بِتَعْلِيمِ التَّوْحِيدِ، وَأَلَّا يَبْدَءُوا بِشَيْءٍ قَبْلَهُ.

كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَوْفَدَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ؛ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ! إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ**»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «**أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِ أَغْنِيَائِهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، ثُمَّ تُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ**».

عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ، وَكَذَلِكَ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي طَرِيقَةِ نَبِيِّهِ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ التوحيد: باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلىٰ توحيد الله، (٧٣٧١)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، باب الدعاء إلىٰ الشهادتين...، (١٩)، من حديث: ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.
وفي رواية لهما: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ**،... »، وفي أخري: «...، **فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**،... ».

بَيَّنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَا صِرَاطُ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا سَبِيلُهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ﴿وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]: يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ وَالْقَصْدِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ لَا يُقْبَلُ عِنْدَ اللهِ إِلَّا إِذَا كَانَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَكَانَ عَلَىٰ وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُ الْكَرِيمُ ﷺ.

تَوْحِيدُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُعْكَفَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبَثَّ فِي الْأُمَّةِ؛ فَإِنَّ الْأُمَّةَ مَا ضَاعَتْ، وَمَا ذَهَبَتْ بَدَدًا، وَمَا تَنَاثَرَتْ قِدَدًا، وَمَا تَمَكَّنَ مِنْهَا أَعْدَاؤُهَا، فَأَذَلُّوا رِقَابَ أَبْنَائِهَا، وَفَعَلُوا بِهِمُ الْأَفَاعِيلَ إِلَّا لَمَّا اضْطَرَبَ الْأَمْرُ فِي التَّوْحِيدِ، وَانْفَرَطَ الْعِقْدُ فِيهِ.

فَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا فِي الْعَقِيدَةِ عَلَىٰ السَّوَاءِ، وَعَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي أَمْرِ التَّوْحِيدِ، فِي أَمْرِ الْعَقِيدَةِ.

وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ عَقِيدَةً مِنَ الْأَصْلِ اللُّغَوِيِّ؛ لِأَنَّ الْعَقِيدَةَ إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْعَقْدِ، وَهِيَ رَبْطُ الشَّيْءِ، فَكَذَلِكَ الِاعْتِقَادُ فِي الْقَلْبِ: هُوَ شَدُّهُ وَرَبْطُهُ عَلَىٰ الْمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ، وَيَنْصَرِفُ ذَلِكَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ.

عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ التَّوْحِيدَ؛ بَلْ كَانَ يَشْتَدُّ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ فِيهِ، عَلَىٰ غَيْرِ مَا هُوَ مَعْهُودٌ مِنْ حِلْمِهِ وَصَبْرِهِ ﷺ.

فَلَمَّا خَطَبَ الْخَطِيبُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَىٰ».

قَالَ: «**بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ**».

لِأَنَّهُ جَعَلَ الضَّمِيرَ لِلْمُثَنَّىٰ فِي قَوْلِهِ: «وَمَنْ يَعْصِهِمَا»، وَلَمْ يُفْرِدْ كَمَا أَفْرَدَ فِي الرَّشَدِ، «مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَىٰ».

قَالَ: «**بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ**».

لَمْ يَقْبَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»، فَقَالَ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟!! إِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ**»(١).

فَصَحَّحَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الْأَمْرَ؛ لِأَنَّهُ يَمَسُّ الْعَقِيدَةَ فِي سَوَائِهَا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَحُوطُ التَّوْحِيدَ بِجَنَابِهِ، وَيَحُوطُ التَّوْحِيدَ فِي سَوَائِهِ، وَلَا يَسْمَحُ لِأَحَدٍ بِأَنْ يَتَهَجَّمَ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: كِتَابُ الْكَفَّارَاتِ: بَابُ النَّهْيِ أَنْ يُقَالَ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، (٢١١٧)، وأحمد في «**المسند**»: (١/ ٢١٤)، والبخاري في «**الأدب المفرد**»: (ص ٢٠٤، رقم ٧٨٣)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وفي رواية -عند ابن ماجه-: «**إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ**».

والحديث حسن إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٢٦٦، رقم ١٣٩) و (٣/ ٨٥، رقم ١٠٩٣).

بَلْ كَانَ ﷺ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ أَنْ يُغَالِيَ فِيهِ ﷺ بِالْمَدْحِ، وَيَرُدُّهُ إِلَىٰ الْجَادَّةِ وَالصَّوَابِ؛ خَوْفًا مِنَ الْغُلُوِّ فِيهِ، كَمَا وَقَعَ فِي الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا؛ حَتَّىٰ عَبَدُوا أَنْبِيَاءَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ نَزَلُوا فَعَبَدُوا صَالِحِيهِمْ، وَاتَّخَذُوا الْقُبُورَ وَالْمَشَاهِدَ وَالْأَضْرِحَةَ؛ تُقْصَدُ، يُتَوَسَّلُ بِأَصْحَابِهَا وَقَدْ صَارُوا رِمَمًا بِالِيَاتٍ، وَعِظَامًا نَخِرَاتٍ، لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ حَوْلًا وَلَا طَوْلًا، وَلَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَمْلِكُوا ذَلِكَ لِغَيْرِهِمْ!!

وَحَتَّىٰ وَقَعَ مَا وَقَعَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَدِيثِ أَبِي وَاقِدٍ، لَمَّا قَالُوا: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«اللهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ؛ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ!!»**.

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟».

قَالَ: «**فَمَنْ؟!!**»(١)

وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ اسْتِنْكَارِيٌّ، أَيْ: فَمَنْ تَتَّبِعُونَ إِنْ لَمْ تَتَّبِعُوهُمْ؟!!

فَهُوَ يُقَرِّرُ ﷺ مَا قَالُوهُ وَفَهِمُوهُ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**».

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: كتاب الْفِتَن: بَابُ مَا جَاءَ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، (٢١٨٠) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي هَامِشِ «**مِشْكَاة المصابيح**»: (٣/ ١٤٨٩، رَقْمَ ٥٤٠٨).

وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ أَنَّ هَذَا قَسَمٌ، يُقْسِمُ الرَّسُولُ ﷺ، فَهَذِهِ وَاوُ الْقَسَمِ، وَهَذِهِ اللَّامُ الْمُوَطِّئَةُ لَهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّهُ يَقُولُ: وَاللهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، لَتَتَّبِعُنَّ طَرِيقَتَهُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ.

فِي رِوَايَةٍ: «**حَتَّىٰ لَوْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً عَلَىٰ قَارِعَةِ الطَّرِيقِ؛ لَكَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَفْعَلُهَا**»(١).

«**حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: كتاب الْإِيمَانِ: باب مَا جَاءَ فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الأُمَّةِ، (٢٦٤١)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**».

وزاد الحاكم (١/ ١٢٨) في روايته: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ..** »، وللأصبهاني في «**الترغيب والترهيب**» (١/ ٥٢٩، رقم ٩٦٥): «**مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ..** ».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ مُفَسَّرٌ غَرِيبٌ»، وحسنه لغيره الألباني في «**صحيح الجامع**»: (٢/ ٩٤٣، رقم ٥٣٤٣)، وروي عن أنس رضي الله عنه نحوه، وقال الألباني في هامش «**صحيح الترغيب والترهيب**» (١/ ١٢٩) بعد أن نقل تصحيح هذه الرواية: «وإنّ مما يجب أنْ يعلم أن التمسك بما كانوا عليه هو الضمان الوحيد للمسلم أن لا يضل يمينًا وشمالًا، وهو مما يغفل عنه كثير من الأحزاب الإسلامية اليوم، فضلًا عن الفرق الضالة».

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ: بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، (٣٤٥٦)، =

وَلَوْ نَظَرْتَ فِي الْوَاقِعِ حَوْلَكَ؛ لَرَأَيْتَ مِصْدَاقَ مَا أَخْبَرَ بِهِ نَبِيُّكَ ﷺ؛ فَقَدْ صَارَتِ الْأُمَّةُ -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ- مُقَلِّدةً تَقْلِيدَ الْقُرُودِ، مُرَدِّدَةً تَرْدِيدَ الْبَبَّغَاءِ، تَنْقُلُ عَنِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ؛ حَتَّىٰ فِي أَخَصِّ مَا يَخُصُّ الْعَقِيدَةَ، وَيَمَسُّهَا، وَصَارَ النَّاسُ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ حَقِيقَةِ الدِّينِ.

وَدِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ حَافِظُهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، وَهُوَ كَالِؤُهُ، وَهُوَ رَاعِيهِ، لَا يُخَافُ عَلَيْهِ.

لَا تَخَافُوا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّهُ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، وَتَكَفَّلَ بِحِفْظِهِ، وَلَنْ يُغَيَّرَ، وَلَنْ يُبَدَّلَ، بَلْ هُوَ مَعْصُومٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؛ لِعِصْمَةِ اللهِ كِتَابَهُ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ تَبَعًا ﷺ.

فَلَا خَوْفَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، لَنْ يُغَيَّرَ، وَلَنْ يُبَدَّلَ، وَلَنْ يُذَلَّ، وَلَنْ يُهَانَ، وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ إِذَا لَمْ يَتَمَسَّكُوا بِدِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- لَا يُحَابِي أَحَدًا، اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا قَرِيبَ لَهُ وَلَا نَسِيبَ، وَلَا وَالِدَ، وَلَا وَلَدَ، وَلَا صَاحِبَةَ، وَلَا نِدَّ.

=

ومسلم: كتاب الْعِلْمِ: بَابُ اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، (٢٦٦٩)، من حديث: أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتىٰ لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم**» قلنا: يا رسول الله آليهود والنصارىٰ؟ قال: «**فمن**».

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُتَفَرِّدٌ بِالْأَحَدِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ، وَبِالصَّمَدَانِيَّةِ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، فَمَنْ خَالَفَهُ قَصَمَهُ، وَمَنْ خَالَفَ نَبِيَّهُ ﷺ عَاقَبَهُ.

وَلَمْ يُعْفِ مِنْ ذَلِكَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ لَمَّا خَالَفُوا أَمْرَ النَّبِيِّ فِي أُحُدٍ؛ نَزَلَتْ بِهِمُ الْكَسْرَةُ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ، وَأُصِيبَ مَنْ أُصِيبَ؛ حَتَّىٰ أُصِيبَ النَّبِيُّ الْمَأْمُونُ ﷺ.

فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَحْذَرَ مَكْرَ اللهِ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْإِتْيَانِ بِمَا كُلِّفَ بِهِ، وَأَنْ يُخَلِّصَ قَلْبَهُ للهِ مِنْ كُلِّ شِرْكٍ، مِنْ كُلِّ بِدْعَةٍ.

يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُطَهِّرَ قَلْبَهُ للهِ، وَأَنْ يَعْرِفَ تَوْحِيدَ رَبِّهِ؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ إِنَّمَا صَارَ تَحْتَ رُكَامٍ عَظِيمٍ مِنْ كَلَامٍ وَفَلْسَفَةٍ، وَجِدَالٍ وَخِصَامٍ، وَمَا بِذَلِكَ أَتَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ!

إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ غَرَسَ اللهُ فِي فِطْرَتِهِ مَعْرِفَةَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَأَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ: أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ، وَأَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَا أَنْ يَعْرِفَ اللهَ؛ لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ مَغْرُوزَةٌ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

صَحِيحٌ أَنَّهُ يَلْحَقُ النَّفْسَ غَبَشٌ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ فَلْيُعَدْ -حِينَئِذٍ- إِلَىٰ الْمَعْرِفَةِ، وَأَمَّا الْأَصْلُ فَهُوَ عِبَادَةُ اللهِ.

أَوَّلُ وَاجِبٍ أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ.

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَابِدًا لِرَبِّهِ إِلَّا إِذَا وَحَّدَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقْبَلُ عِنْدَ اللهِ عَمَلٌ وَلَا يَصِحُّ أَصْلًا إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ.

فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ مُخْلِصًا مُوَحِّدًا؛ رُدَّ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَصَارَ حَابِطًا، وَلَا يُعْفَىٰ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

وَقَدَّمَ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾، فَقَدَّمَ الْمَفْعُولَ بِهِ؛ لِدَلَالَةِ الْقَصْرِ.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾: لَا تَعْبُدْ أَحَدًا سِوَاهُ، وَلَا تَعْبُدْ أَحَدًا مَعَهُ.

﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾، لَمْ يُعْفِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ ذَلِكَ أَحَدًا، وَكُلُّ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ عَذَّبَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَدْخَلَهُ النَّارَ.

وَعَلَيْهِ؛ فَخَلَاصُنَا وَنَجَاتُنَا -أَفْرَادًا وَأُمَّةً- إِنَّمَا هُوَ بِتَوْحِيدِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلَا تَخْلُصُ النَّفْسُ مِنْ أَوْهَامِهَا وَخُرَافَاتِهَا، وَلَا مِنْ قَلَقِهَا وَتَوَتُّرِهَا وَاضْطِرَابِهَا، وَلَا تَخْلُصُ النَّفْسُ مِنْ رَجَائِهَا سِوَىٰ مَوْلَاهَا، وَاتِّكَالِهَا عَلَىٰ غَيْرِهِ إِلَّا بِتَوْحِيدِهِ جَلَّوَعَلَا؛ حَتَّىٰ يَكُونَ الْمَرْءُ عَابِدًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالْعِبَادَةُ كَمَالُ ذُلٍّ فِي كَمَالِ مَحَبَّةٍ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ عَبَدَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ فَهُوَ زِنْدِيقٌ.

وَمَنْ عَبَدَ اللهَ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ فَهُوَ مُرْجِئِيٌّ.

وَمَنْ عَبَدَ اللهَ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ حَرُورِيٌّ.

وَمَنْ عَبَدَ اللهَ بِالْحُبِّ، وَالرَّجَاءِ، وَالْخَوْفِ؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ.

وَلِأَجْلِ ذَلِكَ خَلَقَهُ اللهُ.

نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمُوَحِّدِينَ، وَأَنْ يُحَقِّقَ فِينَا التَّوْحِيدَ، وَأَنْ يُحَقِّقَنَا بِالتَّوْحِيدِ، وَأَنْ يُحْيِيَنَا عَلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَأَنْ يَقْبِضَنَا عَلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ الْمُوَحِّدِينَ خَلْفَ إِمَامِ الْمُوَحِّدِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ للهِ رِبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَه هُوَ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَينِ إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

● **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَخْبَرَنَا عَنْ عَظِيمِ جَزَاءِ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ؛ فَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُ[1]، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ: «**أَنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- قَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ أَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**».

فَالتَّوْحِيدُ لَا يَتَعَاظَمُ مَعَهُ ذَنْبٌ، وَالتَّوْحِيدُ لَا يَخْلُدُ صَاحِبُهُ فِي النَّارِ، بَلْ إِذَا حَقَّقَهُ وَكَمَّلَهُ، وَأَتَىٰ بِهِ خَالِصًا للهِ جَلَّ وَعَلَا؛ حَرَّمَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ النَّارِ ابْتِدَاءً.

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: كتاب الدعوات: باب في فضل التوبة والاستغفار، (٣٥٤٠)، من حديث: أنس بن مالك، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وحسنه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٢٧٠، رقم ١٦١٦) و (٣/ ٣٢٢، رقم ٣٣٨٢)، والحديث عند مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه، بنحوه، ولفظ: «...، **وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**».

وَاللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- جَعَلَ لِلتَّوْحِيدِ فَضْلًا عَظِيمًا؛ لِأَنَّهُ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، فَمَنْ حَقَّقَهُ فَقَدْ حَقَّقَ الْوَظِيفَةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَهُ اللهُ وَأَوْجَدَهُ.

وَمَنْ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ؛ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَالشِّرْكُ ظُلْمٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ أَقْبَحُ مَا عُصِيَ بِهِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَأَعْظَمُ ذَنْبٍ بِإِطْلَاقٍ هُوَ الشِّرْكُ، كَمَا أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ حَسَنَةٍ بِإِطْلَاقٍ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبِطَاقَةِ(١)؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ: «يُنَادَىٰ عَلَىٰ رَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، وَتُنْصَبُ لَهُ الْمَوَازِينُ، فَأَمَّا كِفَّةُ سَيِّئَاتِهِ؛ فَفِيهَا تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، كُلُّهَا آثَامٌ وَذُنُوبٌ، تَرْجَحُ كِفَّةُ السَّيِّئَاتِ، وَتَطِيشُ كِفَّةُ الْحَسَنَاتِ.

وَيُقَالُ لَهُ: «أَظَلَمَكَ عِبَادِي الْحَفَظَةُ؟».

فَيَقُولُ: لَا.

---

(١) حديث البطاقة؛ أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: كتاب الإيمان: بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، (٢٦٣٩)، وابن ماجه في «**السنن**»: كِتَابُ الزُّهْدِ: بَابُ مَا يُرْجَىٰ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، (٤٣٠٠)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا**...» الحديث.
قال الترمذي: «الْبِطَاقَةُ: الْقِطْعَةُ، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وصححه الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٢٦١، رقم ١٣٥)، وقال: «وفي الحديث: دليل علىٰ أن ميزان الأعمال له كفتان مشاهدتان، وأن الأعمال وإن كانت أعراضا فإنها توزن، والله علىٰ كل شيء قدير، وذلك من عقائد أهل السنة، والأحاديث في ذلك متضافرة إن لم تكن متواترة».

فَيُقَالُ لَهُ: «أَلَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةٌ؟» فَحِينَئِذٍ يُوقِنُ بِالْهَلَاكِ.

فَيَقُولُ: لَا.

فَيُقَالُ: «بَلَىٰ؛ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةٌ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ».

وَتَنْزِلُ بِطَاقَةٌ فِي كِفَّةِ الْحَسَنَاتِ، فَتَطِيشُ كِفَّةُ السَّيِّئَاتِ، وَفِيهَا فِي مُقَابِلِ الْبِطَاقَةِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا؛ كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، كُلُّهَا آثَامٌ وَخَطَايَا وَذُنُوبٌ، وَإِذَا فِي الْبِطَاقَةِ مَكْتُوبٌ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»».

لِأَنَّهُ لَا يَعْظُمُ مَعَ التَّوْحِيدِ ذَنْبٌ، مَنْ حَقَّقَهُ نَجَّاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَسْعَدَهُ دُنْيَا وَآخِرَةً، يُنَجِّيهِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَ النَّارِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَمِنَ الْكَرْبِ فِي الدُّنْيَا كَمَا فِي حَدِيثِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَىٰ الْغَارِ(١)، فَأَتَتْ صَخْرَةٌ فَسَدَّتْ فَمَ الْغَارِ، فَحُبِسُوا فِيهِ، فَتَضَرَّعُوا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي قَصَدُوا بِهَا وَجْهَهُ بِكَمَالِ الْحُبِّ فِي كَمَالِ الذُّلِّ، فَكُلَّمَا تَضَرَّعَ وَاحِدٌ انْفَرَجَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ بِمِقْدَارِ الثُّلُثِ، حَتَّىٰ انْتَهَىٰ ثَالِثُهُمْ، فَانْزَاحَتْ عَنْ فَمِ الْغَارِ، فَخَرَجُوا.

فَنَجَّاهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْإِخْلَاصِ، بِالتَّوْحِيدِ، بِقَصْدِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَكَذَلِكَ يُنَجِّي اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُوَحِّدِينَ، كَمَا أَنَّهُ يُهْلِكُ الْمُشْرِكِينَ.

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ: بَابُ حَدِيثِ الغَارِ، (٣٤٦٥)، ومسلم: كتاب الرقاق: بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ، (٢٧٤٣)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

دُخُولُ الشِّركِ عَلَى الْأُمَّةِ بَعْدَ الْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ

الْأُمَّةُ بَعْدَ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْمُفَضَّلَةِ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ الشَّوَائِبِ فِي حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ؛ حَتَّىٰ صَارَ النَّاسُ -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ- عَلَىٰ مَذَاهِبَ شَتَّىٰ فِي أُمُورِ الِاعْتِقَادِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِي بِالشِّرْكِ ظَاهِرًا، فَيَذْبَحُ لِغَيْرِ اللهِ، وَالذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ، مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَغِيثُ بِالْمَقْبُورِ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا حَاضِرًا عِنْدَهُ؛ مَا جَازَتْ الِاسْتِغَاثَةُ بِهِ فِيمَا لَا يَقْوَىٰ عَلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُ إِلَّا اللهُ.

فَكَيْفَ بِالْمَقْبُورِ؟!! يُقْصَدُ قَبْرُهُ، وَيُطَافُ بِضَرِيحِهِ، وَتَسْكُنُ النَّفْسُ عِنْدَهُ، وَيُخَافُ مِنْهُ خَوْفَ السِّرِّ؛ لِأَنَّ هَذَا الطَّائِفَ حَوْلَ الْمَقَامِ عَلَىٰ يَقِينٍ فِي قَلْبِهِ أَنَّ صَاحِبَ الْمَقَامِ يَعْرِفُ سِرَّهُ وَهَاجِسَ ضَمِيرِهِ، فَهَذَا خَوْفُ السِّرِّ، وَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرُ.

ثُمَّ يَسْتَغِيثُ بِهِ وَقَدْ صَارَ رِمَّةً تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَىٰ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا وَلِيًّا تَقِيًّا مُؤْمِنًا نَقِيًّا صَالِحًا؛ مَا رَضِيَ عَنْهُ وَلَا عَنْ فِعْلِهِ وَلَا قَوْلِهِ، وَكَيْفَ يَرْضَىٰ مُؤْمِنٌ عَنِ الشِّرْكِ؟!!

يَسْتَغِيثُ بِالْمَقْبُورِ، وَيَسْأَلُهُ مَا لَا يَقْوَىٰ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ كَانَ حَاضِرًا حَيًّا عِنْدَهُ؛ مَا جَازَ لَهُ أَنْ يَسْأَلَهُ ذَلِكَ، وَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

وَقَعَتْ أُمُورٌ فِي الْأُمَّةِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالِاعْتِقَادِ، فَعَبَدُوا رَبًّا سِوَىٰ الرَّبِّ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَخْبَرَنَا عَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ -وَهِيَ تَوْقِيفِيَّةٌ-، لَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهَا مَدْخَلٌ، لَيْسَ لِلْعَقْلِ أَنْ يُسَمِّيَ اللهَ بِمَا لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا أَنْ يَصِفَ اللهَ بِمَا لَمْ يَصِفْ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، فَدَخَلَ الْخَلَلُ فِي ذَلِكَ، وَعَطَّلُوا اللهَ عَنْ صِفَاتِهِ الْمُثْلَىٰ؛ بَلْ غَالَوْا فِي ذَلِكَ حَتَّىٰ عَطَّلُوا اللهَ عَنْ مَعَانِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، فَعَبَدُوا عَدَمًا!! عَبَدُوا رَبًّا لَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمِينَ وَلَا شِمَالَ، وَلَا أَمَامَ وَلَا خَلْفَ، وَلَا وَرَاءَ وَلَا قُدَّامَ، وَمَا وَصَفْتَ الْعَدَمَ بِمِثْلِ هَذَا الْوَصْفِ؛ فَعَبَدُوا عَدَمًا!!

وَتَطَرَّفَ فِي مُقَابِلِ هَؤُلَاءِ مَنْ غَالَوْا فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ.. غَالَوْا فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ حَتَّىٰ عَبَدُوا صَنَمًا، فَجَعَلُوا اللهَ كَخَلْقِهِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ بَرَاءٌ، أَثْبَتُوا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ.

وَقَعَ فِي الْأُمَّةِ خَلَلٌ كَبِيرٌ فِي أَمْرِ التَّوْحِيدِ، وَظَهَرَتِ الشِّيعَةُ الرَّوَافِضُ، وَالْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ الْأُمَّةِ، وَالْمُرْجِئَةُ شَرُّ الْخَلِيقَةِ.

وَظَهَرَتِ الْخَوَارِجُ فَتَحَكَّمُوا فِي النُّصُوصِ، وَغَالَوْا فِي فَهْمِ نُصُوصِ الْوَعِيدِ؛ حَتَّىٰ كَفَّرُوا الصَّحَابَةَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَوَضَعُوا فِي رِقَابِهِمُ السُّيُوفَ، وَأَعْفَوْا مِنْ ذَلِكَ الْكَافِرِينَ!!

وَظَهَرَ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، وَظَهَرَ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ، وَظَهَرَ غَيْلَانُ الْقَدَرِيُّ، وَظَهَرَ أَصْحَابُ الْبِدَعِ فِي عَقِيدَةِ الْأُمَّةِ الَّتِي أَرْسَاهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَدَانَ بِهَا الْأَصْحَابُ، وَبَلَّغُوهَا مَنْ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ مَا زَالَ الْأَمْرُ فِي انْشِطَارِهِ حَتَّىٰ بَلَغَتِ الْفِرَقُ مَا بَلَغَتْ، وَتَعُودُ بِأُصُولِهَا بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْكُبْرَيَاتِ إِلَىٰ مَا قَالَ رَسُولُ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ نَبِيُّنَا ﷺ؛ إِذْ يَقُولُ: «**وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةٍ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**».

قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**مَنْ كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: كتاب الْإِيمَانِ: باب مَا جَاءَ فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الأُمَّةِ، (٢٦٤١)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ**،...».

وزاد الحاكم (١/ ١٢٨) في روايته: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ**.. »، وللأصبهاني في «**الترغيب والترهيب**» (١/ ٥٢٩، رقم ٩٦٥): «**مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ**.. ».

=

فَدَلَّكَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ.

❀❀❀

=

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ مُفَسَّرٌ غَرِيبٌ»، وحسنه لغيره الألباني في «**صحيح الجامع**»: (٢/ ٩٤٣، رقم ٥٣٤٣)، وروي عن أنس ﷺ نحوه، وقال الألباني في «**الصحيحة**» (١/ ٤٠٥ - ٤١٤، رقم ٢٠٤): «الحديث ثابت لا شك فيه، وتتابع العلماء خلفا عن سلف علىٰ الاحتجاج به، ولا أعلم أحدا قد طعن فيه إلا بعض من لا يعتد بتفرده وشذوذه»، وقال في هامش «**صحيح الترغيب والترهيب**» (١/ ١٢٩): «وإنّ مما يجب أنْ يعلم أن التمسك بما كانوا عليه هو الضمان الوحيد للمسلم أن لا يضل يمينًا وشمالًا، وهو مما يغفل عنه كثير من الأحزاب الإسلامية اليوم، فضلًا عن الفرق الضالة».

وحديث الافتراق روي أيضا عن معاوية وأَبِي هُرَيْرَةَ وعَوْفِ بْنِ مَالِكٍ وأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وأبي أمامة وعلي ﷺ، بنحوه.

لَا صَلَاحَ لِلْأُمَّةِ إِلَّا بِإِصْلَاحِ عَقِيدَتِهَا

تَعَلَّمْ دِينَ اللهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ، وَاعْتَقِدْ مُعْتَقَدَ نَبِيِّكَ الْكَرِيمِ وَأَصْحَابِهِ الْمَيَامِينِ، وَتَمَسَّكْ بِذَلِكَ؛ حَتَّىٰ تَفُوزَ وَتُفْلِحَ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ الْخَلَلَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ مُفْضٍ إِلَىٰ النَّارِ، وَبِئْسَ الْقَرَارُ.

وَلَا صَلَاحَ لِلْأُمَّةِ -قَبْلَ النَّظَرِ فِي لُقْمَةِ الْعَيْشِ، قَبْلَ النَّظَرِ فِي ثَوْبٍ يُوَارِي الْعَوْرَةَ-، لَا صَلَاحَ لِلْأُمَّةِ إِلَّا بِإِصْلَاحِ عَقِيدَتِهَا، وَبِجَعْلِهَا عَلَىٰ جَادَّةِ التَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الْعُصَاةَ لَا يُنْصَرُونَ؛ فَكَيْفَ بِالْمُبْتَدِعَةِ؟!! فَكَيْفَ بِالْمُشْرِكِينَ؟!!

الَّذِينَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يُنْصَرُونَ..

وَأَهْلُ الْبِدَعِ لَا يُنْصَرُونَ..

وَالْعُصَاةُ لَا يُنْصَرُونَ..

مَنْ خَالَفَ النَّبِيَّ ﷺ فَهُوَ ذَلِيلٌ، «**وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**»(١).

---

(١) ذكره البخاري معلقا في «**الصحيح**»: (٦/ ٩٨)، وأخرجه موصولا أبو داود في «**السنن**»: كتاب اللباس: باب في لبس الشهرة، (٤٠٣١) مختصرا، وأحمد في

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَصْفِ حَالِ الْأُمَّةِ عِنْدَمَا تَكُونُ كَثْرَةً مِنْ غَيْرِ حَقِيقَةٍ، عِنْدَمَا تَكُونُ كَمًّا مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ، عِنْدَمَا تَكُونُ جَسَدًا مُتَرَهِّلًا مِنْ غَيْرِ قَلْبٍ قَوِيٍّ نَابِضٍ بِتَوْحِيدِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ: «**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا**».

قَالُوا: أَوَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**لَا، أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ**».

مَا يَقْرُبُ مِنَ الْمِلْيَارِ وَالنِّصْفِ مِلْيَارٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَكِنْ قَدْ لَا تَجِدُ فِي هَذَا الْعَدَدِ الْهَائِلِ اثْنَيْنِ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، تَخَالَفَتْ أَهْوَاؤُهُمْ، وَتَبَايَنَتْ وُجْهَاتُهُمْ، وَتَنَافَرَتْ قُلُوبُهُمْ، وَتَمَزَّقَتْ قُوَّاتُهُمْ، وَصَارُوا نَهْبًا لِكُلِّ مُجْرِمٍ أَثِيمٍ؛ مِنْ مُلْحِدٍ وَكَافِرٍ زَنِيمٍ.

«**أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ؛ وَلَكِنْ كَثْرَةٌ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ**».

وَالْغُثَاءُ: هُوَ مَا يَحْمِلُهُ الْمَاءُ فِي مَسِيرِهِ وَالسَّيْلُ إِلَىٰ قَرَارِهِ مِنْ ذَلِكَ الزَّبَدِ، وَمَا يُلَاقِيهِ فِي طَرِيقِهِ مِنْ ذَلِكَ الْقَشِّ، وَالتِّبْنِ، وَالْجِيَفِ لِلْحَيَوَانَاتِ النَّافِقَاتِ، «**غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ**».

«**وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ الرَّهْبَةَ مِنْكُمْ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**».

=

«**المسند**»: (٢/ ٥٠ و ٩٢) من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

والحديث صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٥/ ١٠٩، رقم ١٢٦٩)، وله شاهد عن طاووس مرسلا، بنحوه.

قَالُوا: وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»(١).

وَلَكِنَّ السَّالِفِينَ أَحَبُّوا الْآخِرَةَ، وَتَمَنَّوُا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَانُوا يَحْزَنُونَ إِذَا مَاتَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، وَيَأْسَوْنَ لِذَلِكَ الْأَسَىٰ كُلَّهُ، وَالْحُزْنَ جَمِيعَهُ؛ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا مَا عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَأَعَزَّ اللهُ بِهِمُ الْأُمَّةَ، وَرَفَعَ بِهِمْ مَنَارَ الدِّينِ، وَأَعْلَىٰ بِهِمْ لِوَاءَ التَّوْحِيدِ، فَاسْتَلَمَهُ مِنْهُمْ وَتَسَلَّمَهُ بَعْدُ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ؛ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا.

لَا مَخْلَصَ إِلَّا بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ.

أَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يَغْفِرَ لِمَوْتَانَا وَمَوْتَىٰ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا، وَارْحَمْ مَوْتَانَا، وَارْحَمْ مَوْتَىٰ الْمُسْلِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

❀❀❀

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الملاحم: باب في تداعي الأمم علىٰ الإسلام، (٤٢٩٧)، من حديث: ثوبان رضي الله عنه.

والحديث صححه بمجموع طرقه الألباني في «**الصحيحة**»: (٢/ ٦٤٧، رقم ٩٥٨).

الْفِهْرِسُ

الْخُطْبَةُ الْأُولَىٰ..... ٣
التَّوْحِيدُ هُوَ الْفِطْرَةُ..... ٤
الْإِخْلَاصُ وَالْمُتَابَعَةُ..... ٧
اللهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّزَّاقُ..... ١٠
التَّوْحِيدُ أَسَاسُ دَعْوَةِ الْمُرْسَلِينَ..... ١٦
بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ!..... ٢٨
الخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ..... ٣٠
فَضَائِلُ التَّوْحِيدِ..... ٣٠
دُخُولُ الشِّركِ عَلَىٰ الْأُمَّةِ بَعْدَ الْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ..... ٣٣
لَا صَلَاحَ لِلْأُمَّةِ إِلَّا بِإِصْلَاحِ عَقِيدَتِهَا..... ٣٧